فنلندا

" مترجمة عن مجلة ريدرز دايجست "

"سيومى" هم الاسم الشعبي لفنلندا، فهو الاسم المحبوب المتردد دائما على كل لسان وكل فنلندى يحب بلاده ويستحوذ حبها على قلبه وآماله وأعماله . وتحاط الوطنية الفنلندية أحيانا بإطار غريب من المظاهر يشكك بعض الناس فى حقيقتها . والفنلنديون شديدو الشغف " بالسيمفونيات " الساحرة التى وضعها فنانهم الموهوب " جون سيبليوس " ، وميالون إلى الرياضات العنيفة ، وبخاصة العدو مسافات بعيدة على النمط الذى رسمه بطلهم المحبوب " بافونيرمى " وكلتا الهوايتين تصدر عن تعصب وطنى عميق .

وفى وقت ما ، حاول القيصر إخماد الروح الوطنية الفنلندية ، وعمل على الفصل بين الفنلنديين والروسيين ، ولكن هاتين المحاولتين كانتا تبوءان بالفشل كلما اجتمع الشعبان فى الحفلات الرياضية الدولية التى كان يظفر فيها الفنلنديون بفخر التفوق ، ولا تزال البطولة الفنلندية إلى الآن مصدر انتصار فنلندا فى كثير من الميادين ، وكان المقدر لدورة عام ١٩٤٠ للألعاب الأوليمبية أن تقام فى هلسنكى (عاصمة فنلندا) لولا ظروفها السياسية الأخيرة .

وفى تلك الفترة المظلمة التى قاست فيها فنلندا الأهوال الجسام بسبب ثباتها على عقائدها الروحية الكريمة كان فنانها الأول " سيبليوس " يوجه كل مواهبه ويجمع كل إحساساته الثائرة للذود عن حريتها ، وما لحنه الخالد " فنلنديا " إلا صورة رائعة عبقرية لبلاده الحية وإيمانها العميق بمثلها العليا ، ومن أجل هذا حاربه البوليس القيصرى أينما سمعه .

وجمعيات التعاون التى بلغ عددها ستة آلاف والتى تضم أكثر من ثمانمائة ألف عضو من الفنلنديين هى أبلغ دليل على وحدة جهودهم ، وتضامنهم الوطنى الوثيق .

وللوطنية الفنلندية وجه آخر ، فالشرف الوطنى ، الذى أثار حروبا عديدة هو من صميم الآداب الشعبية التى يتحلى بها الفنلنديون . وليس أدل على ذلك من أن فنلندا نفسها قد تدت

خمسة ملايين من الجنيهات من ديون الحرب التى كانت فى ذمتها للولايات المتحدة ، والتى يبلغ مجموعها ثمانية ملايين ونصفا ،

ولفنلندا مناعة روحية عجيبة ، فعلى الرغم من السبعمائة سنة التى هى عمر اتحادها مع السويد لا تزال محتفظة بكامل شخصيتها التى ظلت دائبة على الاستمساك بها حتى وقوعها فى قبضة القيصرية حينما كان نابليون الجبار يشعل نار الحرب فى كل نواحى أوروبا فلما اندلع لهيب الثورة الحمراء شعرت فنلندا المظلومة بأن أجراس الخلاص بدأت تدق ، وبضربة باسلة حطمت الجيوش الروسية ، وطردت فلولها من كل شبر من أراضيها ، وما أشرقت شمس ١٧ يوليه سنة ١٩١٩ حتى كان الفنلنديون فى الطرقات والمنازل يرقصون ويغنون احتفالا بقيام جمهوريتهم الجديدة .

والفنلنديون رجال صمت وتقشف ووقار ، لا تصرفهم تقلبات الجو القاسية المستمرة عن مبادئهم النبيلة سواء ذلك فى النساء والرجال ، وإن خلق الجلد الذى يتميزون به لهو مستمد من فطرتهم السمحة المشربة بالصبر والاحتمال ، وليس أعجب فى هذا الباب من الحمام الفنلندى الذى يسمونه (ساونا) ، لتتصور غرفة ضيقة مغلقة ، ليس بها إلا كوة صغيرة فى السقف يتصاعد منها الدخان المنبعث من جمرات متقدة بلهيب أحمر خافت ، وبين تلافيف الضباب الكثيف نرى إذا استطعنا ذلك عددا من الفنلنديين راقدين على ظهورهم يدلكون أعضاءهم فى ذلك الجو الخانق ، حتى تكتوى جلودهم ، وما هى إلا لحظات حتى يقفزوا من مراقدهم الصخرية الخشنة ليغطسوا متسابقين فى بحيرة من ذوب الجليد وهم يرسلون صيحات الفرح والابتهاج ، وذلك فى ظنهم يفسر قدرتهم الرياضية التى صارت جزءا من طبيعتهم ، وقد بلغ من تشبثهم بتقاليدهم أن احتفظوا بذلك الحمام بعد أن أدخلوا فى منازلهم الوسائل الحديثة للاستحمام ، معتقدين أنهم إذا أهملوه ذهبت عنهم صلابتهم وقوتهم الفولاذية وحلت محلهما الدعة والطراوة .

وفى السنين الأخيرة تحول نخوهم الى زيادة نسبة التعليم التى صارت تسعين فى المائة فأصبح لهم بذلك شرف الجمع بين جمال الجسم وجمال الفكر .

وهلسنكى ، العاصمة الأنيقة الفسيحة ، تعتمد على نفسها فى كل أمورها ، وهندسة البناء فيها تتميز بطابع الابتكار والقومية والجرأة ، والروح الديموقراطية اللطيفة هى السائدة بين سكانها الذين يبلغون ثلثمائة ألف من النفوس إذ تختفى فيها الفواصل الاجتماعية بين الطبقات وحتى قبل حصول فنلندا على استقلالها كان مباحا لفتياتها الالتحاق بالجامعة والدخول فى ميادين العمل المختلفة مع أن بقية دول أوروبا لم تكن قد أباحت مثل هذه الامتيازات للمرأة .

وعلى الرغم من تلك المدنية العريقة فإن بعض الأقاليم الريفية فى فنلندا لا يزال نساؤه يرتدين الزى الفنلندى القديم ذا الأكمام الطويلة " والمرايل " الفضفاضة والألوان الزاهية على حين أن نساء بعض المناطق الأخرى قد اقتبسن الزى الأوربى الحديث المتاز بالبساطة وسلامة الذوق ، كما اقتبسن معه طرق التجميل العصرية .

ولألحان " سيبيليوس " وقطعه الموسيقية الرائعة تأثير عميق فى نفس الشعب الفنلندى فهو حين يسمعها ينسى أنوار المدنية الخاطفة ، ويشعر أن " سيبيليوس " يقوده إلى قلب غابات فنلندا الكثيفة ، ويهيم به فى أوديتها الناضرة ومراعيها الغزيرة ، ويسمعه خرير المياه لمتحدره فى حنو وجلال من القنوات المتموجة المتشابكة ، ويريه رأى العين القوارب البخارية الرشيقة وهى تخر عباب البحيرات الفضية ، كما يأخذه إلى الشواطئ السندسية حيث تسير النقالات النهرية الضخمة ، المشدودة بالحبال ، فى صمتها الشعرى بين الشاطئين .

وفى هـذا العالم الحافل بالطمع لا تنظر فنلندا القانعة إلى ما بيد غيرها ، ولا تريد فرض فلسفتها السياسية ولا الزراعية على دولة من الدول ، بل هى لا تشتهى إلا أن تعيش فى عزلتها الهـادئة .

ولكن هل يستجيب العالم لرغبتها هذه ؟ . . ذلك ما يعرفه المستقبل وحده .

— عاتب أخاك بالإحسان اليه ، واردد شره بالإنعام عليه .

— من وضع نفسه مواضع التهمة فلا يلومن من أساء به الظن .

— من كتم سره كانت الخيرة فى يده .

— الناس أعداء ما جهلوا .

— من استقبل وجوه الآراء عرف مواطن الخطأ .